

أفكار المؤمنين في حقائق الدين

جزء 1

" لماذا اتبع ديني دون غيره "

نشره

الشيخ عبد الله القيشاوي و القس الفريد نيلسن

غزة - القدس

طبع في المطبعة الأمريكية في بيروت سنة 1938

فهرست الكتاب

مقدمة الشيخ عبدالله القيشاوي

الإسلام دين العقل والنظر والاستدلال لا دين الظن والوهم والخيال

الإسلام دين العلم ونصيره ومساعدته وظهيره

الإسلام دين الفطرة والبساطة ودين السهولة والسماحة

الإسلام هو دين التوحيد الخالص والتنزيه المحض

الإسلام دين الديمقراطية والحرية والمساواة الحقيقية

الإسلام هو الدين العام لجميع بني الإنسان

الإسلام أعظم دين شخص أمراض النفس وعرف أعراضها فأعطاه الدواء الشافي وسقاها الرحيق الصافي

الإسلام هو الدين الوحيد الذي اشتمل على جميع ما يلزم لسعادة الإنسان في جميع الشؤون والأحوال

الإسلام هو الدين الذي يدخل للبيوت من أبوابها لا من نوافذها وأسوارها

الإسلام هو دين النظافة الحقيقية والطهارة الروحية والجسدية

مقدمة القس الفريد نيسلن

هكذا أوجدنا آباءنا

التساهل في الدين

معرفة الأديان المختلفة

خلاصة الدين المسيحي

الانتقاد العلمي للدين

الدين بكلية أو جزء منه؟

سبب إيمان البعض وعدم إيمان غيرهم

الموقف تجاه الدين اليهودي

الموقف تجاه الدين الإسلامي

أفكار المؤمنين في حقائق الدين – الجزء الأول

تأليف الشيخ عبدالله القيشاوي – غزة 1938

الموقف تجاه اللادينية

إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك؟

مقدمة الشيخ عبد الله القيشاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أما بعد فقد كانت حصلت مكاتبة بيننا وبين القدس الفريد نيلسن وطبعت في كتاب اسمه (كلمة سواء) ولما كان هذا الكتاب لم يستوف جميع الأبحاث ومواضيع الخلاف بين الإسلام والنصرانية فقد رأينا أن نستديم في المكاتبة مع القس المذكور لأجل تتميم تلك الأبحاث فجرى البحث بيننا مع طبع الكتاب المذكور في أمور هي:

- 1- بحث مسألة صلب المسيح وقلته وقيامه حياً بجسمه بعد موته.
- 2- بحث معنى حياته ورفعته إلى السماء.
- 3- بحث معنى أحيائه للموتى.
- 4- بحث معنى تخليصه للعالم من خطايا وإسقاط الذنوب عنهم.
- 5- بحث معنى كونه إلهاً أو ابن الله.
- 6- بحث معنى كونه روح الله وكلمة الله.
- 7- بحث عقيدة التثليث.
- 8- هل يوجد تحريف في التوراة والإنجيل.
- 9- هل يوجد في التوراة والإنجيل ما يدل على وجود نبي بعد المسيح.
- 10- بحث معنى الوحي.

وبعد أن فرغنا من هذه الأبحاث العشرة وما لحقها من توابع اقترح علينا القس المذكور أن نكتب مقالات متقابلة تحت عنوان (لماذا اتبع ديني دون غيره) وأن نطبع هذه المقالات قبل طبع الأبحاث العشرة المذكورة وأن يكون كل مقالين متقابلتين مطبوعاً في كتاب صغير يخرج كل ثلاثة أشهر مرة واحدة، فوافقته على كل اقتراحاته هذه على شرط أن تطبع أيضاً الأبحاث العشرة المتقدمة وما يتبعها بعد انتهاء المقالات المتقابلة بحث يخرج منها أيضاً كل ثلاثة أشهر كتاب واحد حتى ينتهي.

وقد قصدنا من ذلك أن يعرف أهل كل ديانة حقيقة الديانة الأخرى غير مشوهة ولا مموهة ولا مغشاة بصداء الخرافات والتقاليد الموروثة بل مستندلاً عليها بالدلائل مدفوعاً عنها كل ما يمكن من الاعتراضات والانتقادات فإذا برزت حقيقة كل من الديانتين كذلك فلا شك أنه سيتقارب المسلمون والمسيحيون من بعضهما وبزول ما بينهما من حقد وتباغض وخلاص وتناقض ويعرفون أن حقيقة الأديان بالواقع ونفس الأمر هي واحدة من المعنى متفقة في الغية والمبدأ كما سيتضح ذلك وقد عزمنا بحول الله تعالى على إصدار هذه الكتب فنرجو من عقلاء المسلمين والمسيحيين أن يعضدونا باشتراكهم هذه الكتب واشتراكهم في هذه المشروع المفيد إن شاء الله تعالى.

غزة عبد الله القيشاوي

مقال الشيخ عبد الله القيشاوي الأول

لماذا اتبع ديني دون غيره

تحت هذه العنوان سأكتب عدة مقالات أبين فيها وجه كون الإسلام وهو أرقى وأكمل الأديان ولهذا اتبعه دون غيره, وستكون هذه المقالات مقابل مقالات أخرى نم القسيس الفريد نيسلن تحت هذه العنوان أيضاً يذكر فيها لماذا اتبع دين المسيحية دون غيرها من الأديان الأخرى وسنعرض هذه المقالات المتقابلات على العقلاء من مسلمين ومسيحيين وغيرهم وسننشرها على الناس كلهم ليقابلوا بين هاتين الديانتين ويعرفوا الفرق بين الطرفين لعلمهم يتبعون أحسن الحسينين (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب).

(1) اتبع دين الإسلام لأنه دين العقل والنظر والاستدلال لا دين الظن والوهم والخيال لأنه يأمر دائماً بالتعقل والتدبر والتفكير وبالنظر والتبصر والتذكر وينهي عن الجمود والتقليد الأعمى وإتباع الآباء الأولين في كل ما يقولون بلا تمحيص له ولا تفكير فيه ولذلك فإنه يخاطب أرباب النهي والعقول وذوي الألباب والأبصار قال تعالى في سورة البقرة (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) وقال فيها أيضاً (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) وفيها أيضاً (ويريكم أيانه لعلكم تعقلون) وفيها (وبين آياته للناس لعلهم يتذكرون) وفيها (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب).

وقال في سورة آل عمران (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار), وفيها أيضاً (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون).

وقال في سورة المائدة (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون).

وقال في سورة الأنعام (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها), وفيها أيضاً (وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون).

وقال في سورة الأعراف (ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون), وفيها أيضاً (أو لم ينظروا في ملكوت السموات وما خلق الله من شيء).

وقال في سورة يونس (أقل أنظروا ماذا في السموات والأرض).

وقال في سورة يوسف (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني), وفيها أيضاً (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون).

وقال في سورة الرعد (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون).

وقال في سورة الإسراء (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً).

وقال في سورة طه (إن في ذلك لآيات لأولى النهي).

وقال في سورة الحج (أفلم يسيروا في الأرض فيكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فأنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور).

وقال في سورة النور (يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون).

وقال في سورة الروم (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون).

وقال في سورة القصص (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب).

وقال في سورة الزمر (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب).

وقال في سورة الزخرف (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولو جنثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم).

وفيها أيضاً (أنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال في سورة محمد (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها).

وقال في سورة ق (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأثبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب).

وقال في سورة الذاريات (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) وقال في سورة القمر (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر).

فهذه ثلاثون آية قد اخترتها من نحو مائتي آية وردت في القرآن في مواضع مختلفة كلها تأمر بأن لا يأخذ الإنسان الأشياء عن تقليد فقط سواء كانت دينية أو دنيوية بل لابد أن يفكر فيها وأن يتحقق من صحتها مما يدل دلالة واضحة على أن دين الإسلام إنما هو دين العقل والاستدلال لا دين الوهم والخيال ولذلك لا تجد عقيدة من عقائده معقدة غير معقولة ولا شريعة من شرائعه صعبة غير مفهومة كما تجد ذلك في غيره كعقيدة التثليث مثلاً عند النصارى أو عقيدة سقوط الذنوب والخطايا بدون توبة المخطئ أو بدون عمل حسن منه يقابلها بل بدم برئ غيره أو عقيدة اتخاذ البشر المخلوق من التراب ألهاً وغير ذلك مما لا يفقهه العقل ويحار فيها اللب ولا يطمئن إليه الوجدان ولذلك فأنى اتبع دين الإسلام دون غيره من الأديان.

(2) واتبع دين الإسلام لأنه دين العلم ونصيره ومساعدته وظهيره ومحبه إليه لا مبغضه وداع إليه لا رافضه اسمع ما يقوله الإسلام وما تفعله النصرانية.

يقول الإسلام في القرآن (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذي أوتوا العلم درجات) ويقول أيضاً (وقل ربّ زدني علماً) ويقول (إنما يخشى الله من عباده العلماء).

ويقول (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية التي تزيد عن مئة آية في ذكر العلم.

ويقول الحديث الشريف (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ويقول (اطلبوا العلم ولو بالصين) ويقول (اطلبوا العلم من المهد إلى الحد) ويقول (عالم ينتفع بعمله خير من ألف عابد) إلى غير

ذلك من الأحاديث التي لا تحصى في هذا الباب.

فالحديث والقرآن يفيدان وجوب طلب العلم ووجوب البحث والنظر في كل شيء مما في السموات والأرض قال الله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) أي انظروا إلى الشمس والأقمار والنجوم وباقي الأفلاك العلوية وإلى حركاتها ومقابلاتها وما ينشأ عن ذلك وانظروا إلى معادن الأرض ونباتاتها وحيواناتها وكل شيء فيها وفي السموات وما بينهما من أنواع المخلوقات التي لا تحصى.

وقد فعل المسلمون بما أمر دينهم فكانوا سادة الناس في علم الفلك والرصد والحساب ومعرفة حركات الأجرام العلوية والسفلية وفي علم المعادن والنباتات والطب والفلسفة والهندسة وغيرها من سائر العلوم الطبيعية والنظرية وها هي كتبهم وأثار مكاتبتهم ومدارسهم التي لا تزال إلى الآن في أوروبا وآسيا وغيرها تدل دلالة واضحة على ما كان من اهتمام الإسلام والمسلمين بالعلوم والفنون، ولولا تسامح الإسلام ورعايته ونصرته للعلم

لم يحمل إلينا التاريخ من حوادث اضطهاد العلم والعلماء أفضح من الحوادث التي قام بها المسيحيون في الغرب فقد لقي رجال العلم في ظل المسيحية أشد أنواع العذاب طردوا من ديارهم حرقوا كتبهم وبيوتهم حبسوا قتلوا حرقوا أحياء على غير ذلك من أنواع التعذيب والإهانة لبحثهم في العلم وإطلاقهم الحرية للعقل وإنما فعلوا بهم ذلك جموداً على ما فهموه من الدين وتقليداً لما تلقون عن مجامع القسيسين حتى أنهم حرّموا تعليم الإنجيل لعامة الناس ولا يزال الكاثوليك إلى الآن يمنعون الجمهور من قراءته إلا فصولاً مخصوصة منه في الكنائس وعلى أيدي القسس.

وأعجب ما هناك أن المسيحية الغربية ألقت محكمة تفتيش لمقاومة العلم واضطهاد العلماء والفلاسفة وحكمت في مدة 18 سنة على 10220 شخصاً بالحرق أحياء وعلى 6860 شخصاً بالشنق والتشهير وعلى 97320 شخصاً بعقوبات شديدة مختلفة.

ولا ينسى التاريخ إحراقهم للعالم (جيور انو برنو) حياً سنة 1600 لأنه بحث في علم الفلك ولا محاكمتهم (غيليو) لأنه قال أن الأرض تسير حول الشمس ولم ينج من الحرق حياً إلا باعترافه أمام الجمهور أن تعاليمه مغلوطة ومستمدة من الشيطان الرجيم، ولا حبسهم للعالم (دي رومنيسي) حتى قضى نحبه في السجن لأنه قال أن قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها من عباده ثم حوكت جثته بعد موته وحرقت مع كتبه.

ولا ينسى التاريخ أيضاً أن مجمع (لاتران) سنة 1502 قرر لعن كل ما يدرس فلسفة ابن رشد المسلم، ولا أن مجمع (سلاماتك) حكم بأن رغبة (كولومبس) باكتشاف أرض جديدة مخالفة للدين المسيحي كل المخالفة، وقد عارض أيضاً مسيحيو أوروبا كل تقدم في الطب فلم يقبلوا الحقن تحت الجلد الذي اخترعه أطباء العرب للوقاية من الأمراض وحاربوا أيضاً تسهيل الولادة وغير ذلك من أنواع العلوم والفنون كل ذلك كان بسبب جمودهم على تعاليم مجامع القسيسين.

جاء الإسلام فرأى الصراع على أشده بين العلم وجهل رجال الدين ورأى الناس يتخبطون في ظلمات هذا الجهل فنأدى بأعلى صوته إلى نصرته العلم وإطلاق حرية العقل ورفع شأن العلماء وإلى دحض التقليد الأعمى وذم المقلدين وخذل الجامدين الجهلاء فدوى صوته هذا في أنحاء العالم ونفذ في قلوب الأمم حتى غير وجه البسيطة وجعل الأرض غير الأرض فصارت أوروبا بعد ذلك ترسل وفودها لتعلم العلم في المدارس الإسلامية ببغداد والأندلس وغيرها وبدأ الغرب يتنبه ويطلق لعقله الحرية حتى وصل إلى ما وصل إليه الآن بفضل ما ورثه عن الإسلام فقد كان الحجر الأساسي لرفق المسيحيين هو اختلاطهم بالمسلمين في المدارس الإسلامية وفي البلاد الأندلسية وفي الحروب الصليبية وغيرها لا بسبب ديانتهم كما عرفت سابقاً ولهذا فإني اتبع دين الإسلام دون غيره من الأديان.

(3) اتبعه دين الإسلام لأنه دين الفطرة والبساطة ودين السهولة والسماحة قال في القرآن الكريم (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وقال فيه أيضاً (ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً) وقال في الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه) وقال في القرآن (ليس عليكم في الدين من حرج) وقال في الحديث (الدين يسر لا عسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه) وقال فيه أيضاً (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة الصريحة في أن دين الإسلام إنما هو دين السهولة والسماحة والبساطة ودين الطبيعة والخلقه والفطرة لأن جميع عقائده وتكاليفه وشرائعه تتلاءم مع نوااميس الطبيعة وتتناسب مع سنن الكون الإلهية وتتوافق مع الخلقه والفطرة الإنسانية ولأنه دائماً يأمر بالنظر والبحث في سنن الكون وبالاعتبار والاتعاظ بمجاريات الطبيعة الخلقه قال تعالى في سورة البقرة (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحي به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) وقال في سورة آل عمران (قد

(4) اتبع دين الإسلام لأنه دين التوحيد والتنزيه المحض الخالص الذي ليس في شائبة الشرك أبداً لا في الذات ولا في الصفات ولا في العمل ولا في العبادة فلا تثنية كما يقول بعض الأمم السابقة من وجود إله للخير وإله للشر ولا تثليث كما تقول النصارى ولا شريك فله في عمل من الأعمال ولا في عبادة من العبادات كما يقول مشركو العرب.

والقرآن الكريم طافح في هذه الباب بما لا يزيد عليه أصلاً فإنه يوجد فيه ما يزيد على ثلاثماية آية في مواضع مختلفة متنوعة توحده الله تعالى في ذاته وصفاته وأعماله وعبادته وأني اذكر لك نموذجاً في ذلك فأقول:

قال تعالى في سورة البقرة (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال في سورة آل عمران (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) وقال في سورة النساء (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً لمن يستنكف المسح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليها جميعاً).

وقال في سورة المائدة (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وأن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منه عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كأننا ياكلان الطعام أنظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم. قل يا أهل الكتاب لا تقولوا في دينك غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عما سواء السبيل) وفيها أيضاً (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) وفيها أيضاً (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس أتخذوني وأمي آلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت كل شيء شهيد أن تعذبهم فإنه عبدك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وقال في سورة الأنعام (قل إنما هو إله واحد وأني بريء مما تشركون) وفيها أيضاً (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين).

وقال في سورة الأعراف (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وقال في سورة التوبة (وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن وما أمروا إلا ليعبدوا الله إلهاً واحداً لا إله إلا الله هو سبحانه عما يشركون) وقال في سورة النحل (وقال الله لا تتخذوا آلهمين اثنين إنما هو إله واحد) وقال في سورة الإسراء (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً) وقال في سورة الكهف (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وقال في سورة الأنبياء (وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وفيها أيضاً (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا).

وقال في سورة الحج (إن الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وأن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه ضعف الطالب والمطلوب) وفي سورة المؤمنون (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق وعلو بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وقال في سورة العنكبوت (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون).

وقال في سورة الروم (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يحييكم ثم يميتكم هل من شركائكم من يفعل من ذلك من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال في سورة الشورى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال في سورة الطور (أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون) وقال في سورة الإخلاص (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد).

فهذه عشرون آية قد اخترتها من نحو ثلاثمائة آية في هذا الموضوع كما سبق ولا يخفى أن دين التوحيد الخالص هو أرقى الأديان وأكملها، وأسامها وأفضلها، وأسلمها وأسهلها، وأصحها في العقل، وأثبتها في القلب، وأقواها في البرهان، وألصقها بالضمير والوجدان وانفعها لبني الإنسان، لأن اعتقاد توحيد الله تعالى ووجوب قصر العبادة له يعلم الإنسان أن لا يذل لغير الله من سائر البشر ويورب الناس العزة والسمو والشرف ويعودهم على الصبر والقناعة والاستغناء عن غير الله حيث يعتقدون أنه لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع سواه ولهذا فإني أتبع دين الإسلام دون غيره من الأديان.

(5) أتبع دين الإسلام لأنه دين الديمقراطية والحرية والمساواة الحقيقية البارزة في كل مظهر من مظاهر تشريعه والمتجلية في كل تعليم من تعاليمه فإن الإسلام شرع المساواة بين الناس جميعاً ولم يفرق بين عربي وعجمي ولا بين زنجي وفارسي ولا بين مليون ومملوك ولا بين سيد وصعلوك إلا بالتقوى قال في القرآن الكريم (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وقال في الحديث الشريف (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) وقال أيضاً (الناس سواسية) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة الصريحة في ذلك.

ولم يقتصر الرسول الأعظم في ذلك على حد القول فقط بل كان يلحق أصحابه الديمقراطية والحرية والمساواة عملاً ودرساً فإنه لم يجعل له على أي واحد من أصحابه ميزة في مجلس ولا في شأن من الشؤون بل كان يجلس بينهم كأحدهم وكان إذا قام أصحابه إجلالاً له عند مجيئه نهاهم عن ذلك وكان يجلس في المكان آخرهم ويمشي في الطريق ورائهم تعليمياً لهم وكان مع توفر الغنائم عنده لا يعطي نفسه من القوت إلا ما يقيم الصلب فقد جاء مرة غنائم كثيرة من النقود فأفرغها في وسط المسجد كوماً واحداً وشرع يفرقها على المستحقين ولم يبق له شيئاً فقالت له زوجته عائشة رضي الله عنها لو أبقيت لنا يا رسول الله درهماً أو درهمين نشترى بها الليلة إداماً أو خلاً (وخذ لك مثلاً آخر في الديمقراطية والحرية والمساواة) مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بالطريق وكان له عليه دين فامسكه من طوقه وقال له أعطني حقي فاني بكم مطلاً يا آل عبد المطلب وكان عمر معه فغضب من اليهودي وأمسك به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم دعه يا عمر فإن لصاحب الحق مقالا).

ومثلاً آخر (كان رسول الله صلى الله عليكم وسلم في إحدى غزواته يعبئ الجيش ويضع كل إنسان موضعه ويقوم الصفوف وكان أحد الرجال قد خرج عن الصف قليلاً فقومه بقضيب كان بيده فقال له الرجل أوجعتني يا رسول الله وإنني أطلب أن تقيدني من نفسك فكشف رسول الله رداءه عن كتفه وقال له دونك فاقتد فما كان من الرجل إلا أن اعتنق النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل خاتم النبوة بين كتفيه ثم قال ما أردت بذلك إلا أن يمس جسدي جسدي فأرجوا بذلك الأمن من النار) هذا قليل من كثير من ديمقراطية الإسلام في شخص الرسول الذي كان في قومه أعظم من ملوك الأرض ولكنه مع ذلك كان أول من يأت أمر وينتهي بنهي وقد ورث خلفاؤه الراشدون هذه السنة من بعده فكانوا كأفراد الناس لا يمتازون عنهم ولا يستأثرون دونهم بخلاف غيرهم من الملوك والأمراء والزعماء الذين يضعون نفوسهم فوق الناس لا يسمو إليهم تكليف ولا يتصل بهم واجب بل يعتبرون أنفسهم سائلين غير مسئولين.

خذ لك مثلاً من عمر رضي الله تعالى عنه الذي قال لرعيته (إذا اعوججت فقومي) والذي قال له أحد رعيته (لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) فلم غضب منه عمر ولم تأخذه العزة بالإثم بل قال له (الحمد لله الذي وجد في المسلمين من يقول لأمرهم مثل هذا القول) ومثلاً آخر (كان قد اسلم جبلة ابن الأيهم الغساني النصراني وأتى إلى مكة حاجاً في زمن عمر فوطئ رجل الإمامة أزاره خطأ فوقع عن جسده فطمه جبلة على وجهه فرقع الرجل أمره على عمر فقال عمر لجبلة (لا بد وأن يلطمك مثلها أو يعفو عنك) فقال جبلة (أملك بسوقة يا أمير المؤمنين) فقال عمر (الإسلام سوى بينكما) ففر جبلة هارباً من حكم عمر وأخذته العزة بالإثم ورجع إلى نصرانيته بالشام ولكنه قدم على ذلك فيما بعد حيث قال:

تنصرت الاشراف من عار لطمه
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني فيها لجاج ونخوة
فبعث بها العين الصحيحة بالعمور
فيا ليت لي بالشام أدنى معيشة
أجالس قومي ذاهب السمع والبصر
ويا ليت أمني لم تلدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قلته عمر

ومثلاً آخر جاءت ثياب من الغنائم إلى عمر فوزعها على كل رجل ثوباً وأخذ عمر ثوباً مثلهم فلما قام عمر يخطب يوم الجمعة ويأمر وينهي قام إليه رجل من عرض الناس وقال يا أمير المؤمنين (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) قال عمر وكيف ذلك فقال الأعرابي أنت فرقت الثياب بين المسلمين وأعطيت كل رجل ثوباً واحداً وأنا نراك لا بساً منها وأنت رجل طوال وأن ثوباً واحداً لا يكفيك فلا بد أنك أخذت أكثر من ثوب فقال عمر لابنه عبد الله قم فأجب فقال عبد الله (إن ثوب أمير المؤمنين لم يكفه فأعطيته ثوبي).

ومثلاً آخر (إن زوجة عمر كانت قد فهمت منه أنه يشتهي العسل فجعلت تقتصد من المصروف اليومي الدانق أو النصف الدانق واشترت بذلك عسلاً وقدمته له فقال لها من أين هذا قالت اقتصدت في مدة شهر من مرتبك في بيت المال درهمين فاشتريت بهما عسلاً فقال عمر هذا حق المسلمين لأنه زيادة عما نحتاج إليه ولم يقبل أن يأكل منه بل باعه وأدخل ثمنه بيت المال وانقص من مرتبه في بيت المال مقدار ما اقتصرت زوجته).

ومثلاً آخر (حينما تبارى ابن أمير مصر عمر ابن العاص مع قبطي إلى مكة ورفع أمره إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب فأرسل عمر في طلب أمير مصر وابنه فلما حضرا أوقفهما أمام القبطي وقال له (اضرب ابن أمير مصر مثلما ضربك) فقال القبطي قد أسقطت حقي عنه يا أمير المؤمنين فقال له (لا حتى تضربه مثلما ضربك) ثم التفت عمر ابن الخطاب إلى أمير مصر عمر ابن العاص وقال له (متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

وللخلفاء الراشدين ما هو معجب ومغرب من الحوادث حتى أنه بعد أن تحولت الخلافة في الإسلام إلى ملك لم تنزل تلك الديمقراطية يشع نورها بين المسلمين لأنه لم يكن من فرق بين الملوك والسوقة في حكم الشريعة الإسلامية سواء في عاصمة العباسيين بغداد أو في عاصمة الأمويين الأندلس فقد كان الناس هنا وهناك يقاضون

الملوك فتحكم القضاة على أولئك الملوك وتدينهم لان الإسلام سوى بينهم بخلاف غيره من الأديان ولهذا فإني أتبع دين الإسلام.

(6) اتبع دين الإسلام لأنه الدين العام لجميع بني الإنسان من أقدم الأزمان إلى يومنا هذا لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع والاستسلام إلى الله وحده وهذا ما أتت به جميع الشرائع وقررت سائر الأديان لأن جميع الرسل من آدم إلى خاتم الأنبياء كانوا يتطلّبون من أممهم الاستسلام إلى الله تعالى وتوحيده في الذات والعمل وفي العبادة له والخضوع إليه قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الله إلا نوحى إليه لا إله إلا أنا فاعبدون)

ولكن شذ عن هذه القضية بعض إتباع الديانة المسيحية ولذلك نزل في حقهم قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنه تولوا فقولوا شهدوا بأننا مسلمون) أي تعالوا إلى الكلمة التي استوى فيها ديننا ودينكم ونطق بها قرآننا وإنجيلكم وهي توحيد الله تعالى وعبادته وحدة وعدم اتخاذ بعضنا بعضاً كالمسيح رباً من دون الله فأن تولوا عن هذا ولم يذعنوا به فقولوا لهم شهدوا بأننا مسلمون لله وحده دونكم وإنما كان الإنجيل مساوياً للقرآن في هذا المعنى لأنه قال (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وقال (إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد) وعليه فالإسلام بمعناه العام هو دين الله في جميع الأزمان ولذلك قال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وقال أيضاً (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).

ومما يدل أيضاً على أن الإسلام هو الدين العام لجميع بني الإنسان إن الله تعالى قد عد من المسلمين كثيراً من الأنبياء وأمهم السابقين فقد قال تعالى عن نوح في سورة يونس (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن إبراهيم في سورة آل عمران (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) وقال عنه في سورة البقرة (قال أسلمت لرب العالمين) وقال أيضاً عنه وعن إسماعيل وعن ذريتهما (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) وقال فيها أيضاً عنه وعن يعقوب وعن بنيهما (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال عن يوسف في سورة يوسف (توفني مسلماً والحقني بالصالحين) وقال عن موسى وعن قومه في سورة يونس (وقال موسى لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) وقال عمن آمن بموسى من سحرة فرعون في سورة الأعراف (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن حوارى عيسى في سورة آل عمران (وقال الحواريون نحن أنصار الله أما به واشهد بأننا مسلمون) وقال عن أهل الكتاب عموماً من يهود ونصارى في سورة القصص (أنا كنا من قبله مسلمين) أي من قبل القرآن وقال عن محمد في سورة المؤمن (قل أي نهييت أن أعبد الذي تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وقال عنه أيضاً في سورة يونس (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن أمة محمد في سورة الأنعام (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) وقلا عنهم أيضاً في سورة الحج (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) أي حينما رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت أي الكعبة طلباً من الله تعالى أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة كما في آية البقرة السابقة والأمة المسلمة من ذرية إسماعيل إنما هي الأمة العربية الإسلامية.

وقال عن كل المخلوقات في السموات والأرض في سورة آل عمران (قل أغير دين الله يبغون وله أسلم من السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الصريحة في أن دين الإسلام الذي أتى به محمد عليه الصلاة والسلام إنما هو دين الفطرة والخلة ودين جميع الأنبياء والرسل قبله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (إننا معشر الأنبياء ديننا واحد) ثم تلى قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن يقيموا الدين ولا تفرقوا فيه) ويدل على هذا أيضاً قوله تعالى في سورة آل عمران قل إنما بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقوله تعالى في سورة النساء (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داوود زبوراً رسلاً قد قصصنا عليك من قبل

ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً (وقوله تعالى في سورة المؤمن (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إنا بما تعملون بصير وأن هذه أممكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ففقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون)

فالحقيقة والواقع أن الأحزاب والإتباع من كل دين هم الذي فرقوا الأديان وجعلوها متغايرة متباينة متنافرة متناقضة بسبب الجهل بحقائقها وعدم الوقوف على أغراضها ومقاصدها وبمساعي ذوي الأغراض والسياسات من أحزابها وأهلها حتى فرقوا بين الناس وجعلوهم أشباعا متقاطعة وأحزاباً متنافرة وأماماً متناكرة فقطعوا أمرهم بينهم زبراً وأصبح كل حزب بما لديهم فرحين ولغيره من الأحزاب والأديان مبغضين وكارهين فلو أن الناس يريدون أن يستعملوا عقولهم في فهم الأديان ويحبون أن يطالعوا القرآن بتفكير وإمعان لعلموا أن دين الإسلام لا خلاف بينه وبين حقائق سائر الأديان إلا في بعض الطقوس والأحكام التي تغيرت بتغير الزمان بسبب تدرج الإنسان إلى الكمال و تعلموا أنه بالنظر لكونه وجد بعدها فقد وقف على ما غيرته يد الزمان منها ومحص حقها من باطلها وميز صحيحها مما طرأ عليه الفساد منها فأقر الحق الصحيح وصدقه وأزهق الباطل الفاسد ومزقه وأصبح المهيم على الداعي لصحيحها وأحسنها والمكمل لأحكامها والمتمم لأعمالها والموفي لما اقتضاه تقدم الزمان ولما يتطلبه رقي الإنسان فكان أولاهما بالإتباع وأقربها إلى الإقناع ولذلك فإني اتبع دين الإسلام دون ما حاد عنه من الأديان.

(7) اتبع دين الإسلام لأن القرآن هو أعظم كتاب سماوي شخص أمراض النفس وعرف أعراضها فأعطاهما الدواء الشافي وسقاها الرحيق الصافي وأجنت منها أصول الفساد والضغينة وبذر فيها بذور المحبة والفضيلة فكانت أعظم أمة في أخصر مدة عرفها التاريخ مما لم يقدر عليه كتاب آخر ولم يتوصل إليه دين من أديان البشر.

ارجع إلى العرب واستعرض أخلاقهم وأعمالهم قبل نزول القرآن ثم أنظر إليهم بعد أن تضلعوا منه وتزودوا من أخلاقه وتعاليمه فإذا ترى أنه في زمن قصير قد استأصل من قلوبهم الأحقاد والأضغان واشربها حب التعاون والإحسان وفصلهم عن التنافر والشقاق ووصلهم بحبل الألفة والوفاق وأخرجهم من مضيق الملل والكسل إلى فسيح الأمل والعمل ومن ظلمة الجهل والضلال إلى نور العلم والعرفان ومن هوة الفقر والذل والاضمحلال إلى سمو العزة والشرف والاستقلال إذا أنه من فضيلة سامية ولا من مأثرة عالية إلا وقد أتى بها الإسلام ولذلك فإن المسلمين الأولين حينما ساروا وفق نواهيهم وأوامره ومشوا على أصوله وتعاليمه أصبحوا ملوكاً حكاماً وأئمة إعلماً بعد أن كانوا رعاة جهلاء وعبيداً أذلاء وأصبحوا في مدة وجيزة سادة العالم ورؤوس الأمم فالإسلام إذا هو المربي الأعظم والكافل لحياة الأمم ولذلك فإني اتبع دين الإسلام دون غيره من سائر الأديان.

(8) اتبع دين الإسلام لأن القرآن يحتوي على ما كل فيه سعادة الإنسان في كل الأزمان والأقطار وفي جميع الشؤون والأحوال في الأمور الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والسياسية والعلمية والطبية والأدبية والتاريخية والكونية والعقائد الدينية والشؤون الأخلاقية والأمور التشريعية إلى غير ذلك من لوازم الإنسانية.

فرجال التشريع مثلاً قد وجدوا في القرآن أحسن تشريع ملائم للمجتمع الإنساني في كل أدواره وأحواله وفي جميع أعصاره وأمصاره من أمور جنائية ومدنية وأدبية وفقهية وعبادات ومعاملات وأحوال شخصية ونحوها فكان المنهل العذب للتشريع الإسلامي الذي رقى المسلمون به إلى أوج المعالي ولا يزال هو أحسن تشريع إلى الآن بل إلى آخر الدوران.

ورجال الاقتصاد يجدون في آيات القرآن ضالته الممنشودة بحيث لو مشوا عليها لكانت منجاة لهم من مصارع الأزمات الاقتصادية العالمية وغوثاً لفقراء الإنسانية كما سافصل ضلك عند بحث تلك الآيات القرآنية خصوصاً فيما يتعلق منها بأمر الربا وأمر الزكاة الإسلامية.

ورجال السياسة يضيفون إلى دهائمهم السياسي ثروة طائلة في الحياة السياسية بما يجدونه مرقوماً على صفحات القرآن إذ قص عليهم من أخبار الماضين ما يكون عظة للشعوب وعبرة للأمم وإذ يتلوا عليهم من أخبار وأحوال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ومن أعماله وسياسته معهم وما هو أعظم سياسة وجدت في العالم وأقوم طريق يجب أن يمشي عليها الملوك والزمع والسياسيون من الأمم قال المؤرخ الانكليزي المستر (بورسورت

سميذ) في كتابه (محمد والدين) ما نصه (وكما كان محمد رئيساً للدولة كان رئيساً للدين أي أنه كان قيصرًا وبابا في شخص واحد ولكنه كان بابا في غير مزاعم البابا وقيصرًا دون أن يكون له جيوش قيصر فإذا حق لإنسان أن يقول عن نفسه أنه يحكم بحق إلهي فقد كان ذلك الإنسان محمداً إذا كان حاصلًا على كل سلطان الحكم لا من طريق وسائله العادية ولا بمقوماته المعروفة. كان محمد في وقت واحد مؤسساً لأمة ومقيماً لإمبراطورية وبانيًا لدين وهو وأن كان أمياً فقد أتى بكتاب يحوي أدباً وقانوناً وأخلاقاً عامة وكتباً مقدسة في كتاب واحد وهو كتاب يقده إلى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشري) انتهى، وطلاب الأخلاق يجدون في القرآن لبانتهم المرجوة إذ أن القرآن طافح في هذا الكتاب بما يغنيهم عن الدراسة في أعظم جامعات العالم حتى أن كثيراً من أساتذة الأخلاق في الجامعات الكبرى قد استمدوا من أخلاق القرآن ما أدهشهم وجعلهم يعتقدون أن الأخلاق الإسلامية القرآنية هي المثل الأعلى في هذا الباب ولهذا فإني أتبع دين الإسلام وتعاليم القرآن دون غيره من الكتب والأديان.

(9) اتبع دين الإسلام لأنه يدخل إلى البيوت من أبوابها ولا يتسور عليها من نوافذها وأطلالها يدخل إلى القلوب بالحجة والبرهان لا بالمغريات والمال فلا يرشي أحداً ليلتبعه ولا يغريه ليخدعه وآية ذلك أن الإسلام ينمو وينتشر في أنحاء المعمورة دون أن تتولاها دعاية أو يتقدمه ترغيب أو يتعهده تبشير بالإسلام قد سار على قدميه وطار بجناحيه وسرى في العروق سريان الماء ونفذ في القلوب نفوذ الضوء في الأرجاء وأنار العقول كما تنير الكهرباء فبلغ ما لم يبلغه غيره وفعل ما عجز عنه سواه.

كم مرة شكى المبشرون المسيحيون من البلاد الوثنية التي ينتقلون فيها لتبشير أهلها حيث يجدون الإسلام يزيد فيها زيادة مضطردة بلا تبشير وهم عاجزون في تبشيرهم عن الوصول إلى مصل ذلك حتى من الإغراء والتبذير.

وكم مرة وقف المبشرون والإسلام وجهاً لوجه أولئك بأموالهم ومغرياتهم ومكائدهم ودولهم والإسلام وحدة ولكن كيف يكون وحده والله معه والحق ظهيره والعلم نصيره والعقل بشيره ولذلك كانت الغلبة دائماً عليهم والامر له دائماً دونهم ولهذا فإني أتبع دين الإسلام دون غيره من سائر الأديان.

(10) اتبع دين الإسلام لأنه دين النظافة والطهارة حسية أو معنوية أي جسمية وقلبية قال تعالى في سورة البقرة (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال فيها أيضاً (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله).

وقال في سورة المائدة (يا أيها الذي آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنباً فاطهروا) وقال فيها أيضاً (ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم) وقال في سورة التوبة (والله يحب المطهرين) وقال في سورة الأنفال (وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به) وقال في سورة الأحزاب (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) وقال في سورة المدثر (وثيابك فطهر والرجز فاهجر) وقال في الحديث الشريف (النظافة من الإيمان) وقال فيه أيضاً (بني الدين على النظافة) وقال أيضاً (مفتاح الصلاة الطهور) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي تنفر من الوساخة والنجاسة وتحث على النظافة والطهارة.

أما النظافة والطهارة القلبية من مثل الحسد والحقد والكبر والغش والنفاق ونحو ذلك فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في ذمها ووجوب التطهر منها لا تكاد تحصى لكثرتها مما لا يتسع هذا المقال لذكرها، ويكفي فيها ما ذكرناه من الآيات السابقة فإن فيها ما هو نص في الطهارة القلبية كما أن فيها ما هو نص في الطهارة الجسمية وما هو نص في كليهما معاً.

وأما النظافة والطهارة الجسدية التي شرعها الإسلام فمنها الاستنجاء أي غسل القبل والدبر بعد قضاء الحاجة فإن الإسلام قد أمر به ابتعاداً عن القذارة والوساخة وعن انتشار المكروبات في البدن واللباس من بقاء أثر البول والغائط على القبل والدبر.

وقد ورد في ذلك وفي آداب قضاء الحاجة أحاديث كثيرة منها أن الإنسان لا يبول واقفاً ولا في مهب الريح ولا على حجر صلد لئلا يصيبه شيء من رشاش البول حتى أنه ورد في بعض الأحاديث أن عذاب القبر قد يكون من عدم التنزه من البول مما يدل على شدة اعتناء الإسلام بالنظافة والطهارة التي لا يوجد نظيرها في الديانة المسيحية.

وأذكر أن تلميذاً مسيحياً أسلم بواسطة أحد تلاميذ المسلمين في المدرسة فوبخته أمه على ترك دينه ودين آبائه فقال لها أنظري إلى سروالي قبل الإسلام وما فيه من أثر البول والغائط أمام القبل والدبر وانظري إليه بعد الإسلام وما فيه من نظافة فهل تحبين أن تتعبي نفسك بغسل هذه القاذورات دائماً أن رجعت إلى النصرانية فسرت أمه من حسن اختياره في إقناعها وأقرته على إسلامه.

ومنها السواك والمضمضة والاستنشاق التي شرعها الإسلام وبين مزاياها المتعددة ومنافعها التي منها تنظيف اللثة والأسنان والحلق واللسان وسائر أجزاء الفم الذي هو طريق الطعام إلى المعدة وتنظيف الأنف الذي هو طريق النفس إلى الرئة وشرع أن يكون ذلك خمس مرات كل يوم على الأقل مع الوضوء عدا ما أمر به في أحوال أخرى كالسواك والمضمضة قبل الأكل وبعده وقبل النوم وبعده وعند كل صلاة وغير ذلك مما هو مذكور في الأحاديث التي منها قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالسواك فإنه مطهر للفم ومرضاة للرب).

ولا يخفى ما في ذلك من المنافع العظيمة ورفع المضار الجسيمة التي يعترف بها سائر الأطباء وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يستأكون مرات كثيرة في الليل والنهار قال ابن عباس (لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء).

ومنها الوضوء الذي شرعه الإسلام وهو غسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس تلك الأعضاء الأربعة التي تكون دائماً معرضة للغبار في الطرقات وللأوساخ بسبب مزاولة الأعمال فإنه أمر بغسلها كل يوم خمس مرات ينص قوله تعالى (يا أيها الذي آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم إلى آخر الآية المتقدمة في سورة المائدة) ولا يخفى ما في تكرار غسلها من شدة النظافة والابتعاد عن بقاء المكروبات على البدن مدة طويلة. ومنها غسل جميع البدن بعد كل جماع أو احتلام فإن خروج المنى يسبب ضعفاً وتورماً في أعضاء الجسم عنه بالقوة والنشاط بسبب الغسل وتنظيف البدن وهذا عدا غسل الجمعة الواجب على كل إنسان وإن لم يجامع ويحتلم كما هو وارد في الأحاديث.

ومنها وجوب غسل الثوب والبدن من كل نجاسة وقذارة كالبول والغائط والدم والقيح وسائر أنواع النجاسة والوساخات التي تحمل أنواع الميكروبات فإن الإسلام قد شدد في وجوب غسل البدن والثوب منها والابتعاد والتتحي عنها لما فيها من الأضرار.

إلى غير ذلك من أنواع النظافة والطهارة الجسدية الإسلامية التي لا وجود لها في الديانة النصرانية بل يوجد فيها ما يدل على إهمالها وعدم الاعتناء بها كقول المسيح في الاصحاح الخامس عشر من إنجيل متى (ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان بل ما يخرج من الفم ينجس الإنسان) وقوله أيضاً في نفس الاصحاح المذكور (وأما الأكل بأيدي مغسولة فلا ينجس الإنسان) وقوله في مرقس اصحاح 17 (ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه) فهذه الآيات قد استدلت بها المسيحيون على عدم لزوم غسل الأيدي عند الأكل وعلى عدم لزوم غسل البدن والثوب من النجاسات إن كان الواجب غسل القلب فقط وتطهيره ولكن الإسلام يأمر بوجوب تطهير القلب والجسد جميعاً ولهذا فإني اتبع دين الإسلام لأنه أففع للإنسان وأوفق لما يتطلبه الزمان من لزوم تطهير جميع الألبسة والأجسام.

مقدمة القس الفريد نيلسن

بعد إصدار كتاب (كلمة سواء) وهو يشمل المكاتبة التي حدثت بيني وبين بعض المشايخ المسلمين قد اتفقنا والشيخ عبد الله القيشاوي بأن نستمر في المكاتبة عن أمور دينية فننشرها فيما بعد والآن أصدرنا أول جزء من هذه المكاتبة وهو عن الموضوع (لماذا أتبع ديني دون غيره) فإذا لقي هذا الكتيب قبولاً حسناً سننشر بقیه المكاتبة في ثلاثة كتب بحجم هذا الكتيب أو أكبر منه قليلاً فتكون مواضيعها (معنى الوحي) (موت المسيح وقيامته من بين الأموات) (قول الإنجيل عن نبي بعد المسيح) ونرجو ممن يرغب بالحصول عليها أن يرسل إلى أحدنا بعنوانه ويكون ثمن كل كتاب من حجم هذا الكتيب 25 ملاً لكل من وصى عليه سلفاً.

فأملنا أن هذه الكتب ستفيد فقط بتقديم الأفكار والآراء للمسيحيين والمسلمين عن هذه المواضيع فسيزداد به التقارب والتساهل اللذان لا بد منهما للتعارف ومع ضرورته في كل الأحوال وكل الأمكنة فهو ألزم في الشرق الأدنى حيث يعيش الطرفان مع بعضهما كوطنيين متحدين في الكفاح الوطني والسياسي أفلا يؤسف في حالة كهذه أن الأمور الدينية يجيب اجتناب ذكرها لئلا ينتج انشقاق فتباعد وتنافر أفليس من الأفضل أن يحاول الطرفان إرشاد بعضهما البعض فهل من ضرر بذلك للقضية الوطنية ما دام الجميع لا يزالون عرباً فهل يوجد لأمر كهذا موانع دينية ما دام كتاب القرآن يقول (لا إكراه في الدين) وكتاب الإنجيل (امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن).

لكن أمني أوسع من هذا وهو أن هذه الكتب ستنتج مقالات جديدة من مسلمين ومسيحيين أما عن تفاصيل مواضيع الكتب نفسها أو عن غيرها من الأمور الدينية فيمكننا بذلك الوصول إلى ما هو مثلاً الأعلى أي إصدار مجلة دينية يتشارك في مقالاتها المسيحيون والمسلمون على السواء فكل منا سيرحب بأراء القراء عن هذا الفكر وبمقالات عن أمور دينية إن كانت من أفكارهم الخاصة أو ترجمة مقالات قيمة من غير لغات فيعد الحصول على رخصة لمجلة كهذه ستنتشر فيها هذه المقالات إذا اتفقنا عليها كلانا إذ لا يجوز من الطبع نشرها فيها أية مقالة تمس بشرف شخص من الأشخاص أو دين من الأديان.

ثم نرجو من مستحسني مشروع كهذا أن يخبروا غيرهم به أو أن يرسلوا إلى أحدنا بأسمي غيرهم وعناوينهم ولهم الشكر سلفاً.

البقعة فوقاً في القدس

القس الفريد نيلسن

مقال القس الفريد نيلسن

لماذا أتبع ديني دون غيره

لو أمكن حصول جواب هذا السؤال من أشخاص كثيرين لاختلفت، لا شك تلك الأجوبة اختلافاً عظيماً ليس فقط نظراً إلى اختلاف الأديان ومحتوياتها لكن نظراً إلى اختلاف الأفراد من أبناء دين واحد ولكن مع ذلك لا بد من اتفاق كثيرين على جواب واحد حقيقي بأن لفظوا به أم لا، أي " لأنني من الدين تابعين للدين الفلاني فتربيت بمحيطه " وليس ذلك جواب العامي البسيط فقط لكننا نشعر جميعاً بصحة قول فيلسوف عظيم من فلاسفة المسيحيين قد قال " أنني لو ولدت في استنبول لكنت مسلماً لاشك " أو كما يعبر عنه من يقول " أن الطفل يولد بدين الطبيعة ولا يتهود أو ينتصر إلا بتربيته " .

لو أخص أكثر الناس فانصفوا لكان جوابهم من هذا النوع " إننا هكذا وجدنا آباءنا " ولكن كثيرين منهم يشعرون أيضاً في ذات الوقت بنوع من الخجل عند تقديم هذا الجواب نعم لو كان السؤال عن اللغة " لما تتكلم بهذه اللغة أو تلك " لجاز هذا الجواب " أنني تعلمتها من صغري فتربيت فيها " لكن الدين ليس كاللغة فيشعر أكثرنا بأن هذا الجواب بخصوص الدين غير كاف بل غير لائق أيضاً فلو كان ذلك هو القانون المتبع في كل مكان وفي كل حين لكان منظر العالم اليوم مختلفاً جداً عما هو فما كان من وجود لديانة من الأديان الثلاثة السموية إذ أن مؤسسها كانوا يخالفون ما وجدوه حولهم من أمور الدين فيلاقون مقاومة شديدة لدعوتهم من قبل القائلين بأن هكذا وجدنا آباءنا فلذلك لا يجوز لتابع حقيقي لأحد الأديان الثلاثة أن سلم بصحة ذلك الجواب إذ أن حالة العالم اليوم عموماً لم تتغير عن حالته الأولى فتجد دعوة الدين إلى الآن مقاومة شديدة نعم إذا كان الدين مجرد أفكار وراء بشرية عن الأصل المزعوم للكون لا وراءها حقيقة فلا أهمية لصحته أو بطلانه لكن ليس الدين للمؤمنين كذلك بل هو إعلان إلهي لا يجوز التغافل عنه ولا التبديل له.

فالجواب المذكور إذاً ليس له قيمة أو بالعكس إنه غير لائق إذ أنه يؤخر الإنسان الغير مؤمن عن قبول الدين الصحيح ويصور للمؤمنين أن الدين يمكن أخذه عن الآباء كما يمكن أخذ اللغة أو المال عنهم فقد قال في ذلك أعظم شاعر ألماني (كوتي) ما تعريبه " أن الذي لك من آباءك عليك أن تسعى لأجله حتى تمتلكه " ويوجد في كتاب المسيحيين حادثة تظهر بوضوح إنسان الإيمان من هذا النوع فتموه وتغيره إيماناً أصح إذ امرأة من بلاد السامرة قد اجتمعت بالسيد المسيح عند البئر فانتبهت إلى تعليمه ثم ذهبت لتخبر أهل بلدها ليأتوا فيسمعوا أيضاً فيقال هكذا " آمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة فما جاء إليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم فمكث هناك يومين فأمن به أكثر جداً بسبب كلامه وقالوا للمرأة أننا لسنا بعد بسبب كلامك نؤمن لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم " .

لاشك أن أول الإيمان في أكثر الناس هو بأنهم أخذوه من عند غيرهم في صغرهم في البيت أو في المدرسة أو بتأثير شخص آخر مؤمن لكن على الإيمان أن يستقل فيما بعد فيصير إيماناً شخصياً بواسطة اختباراتهم الخاصة فيبقى الإيمان صورة كما في الأول ولكنه تغير معنى إذ هو مبني ليس على كلام الغير فحسب بل على تسليم شخصي لا طاعة الكلام ككلام الله فيكون الإيمان حينئذ ليس كحجر ميت جامد بل كحياة نامية فسيُدفع المؤمن لتبشير غيره أيضاً ليشاركوه في الإيمان الذي صار له كنزاً.

وقد يسلم كل مؤمن بما مضى مسيحياً كان أم مسلماً ولكن إذا تقدمنا أيضاً ذاكين بعض هذه الاختبارات والدوافع الشخصية فطبعاً ستفترق الطرق وقد يصير بين تابعي الأديان المختلفة تنافر وتباغض إذ ما يذكره تابع دين من الأديان كسبب تمسكه بهذا الدين سيحسبه تابع دين آخر كجهالة بل كانتقاد لدينه نعم إن الاختلاف لا بد منه لكن التنافر والتباغض لا لزوم لهما بني المتفكرين من المؤمنين أنه في التاريخ كثير من الصدام والقتال بسبب الدين حتى أن البعض قالو أن أدمى الحروب هي الحروب الدينية وإن أغضضنا النظر عن الحروب العمومية التي فلما الأشخاص مسئولون عنها فاكتفينا بالنظر إلى القتال بالقلم وباللسان بين أصحاب الأديان فيظهر لنا حالاً فيه نغمة البغض والنفور ولكنه يظهر أيضاً أن هذه النغمة عادة من طبع الأشخاص وتفسيرهم وليس من مبادئ دينهم الأصلية فلا شيء في الإنجيل يأمر المسيحي ببغض غير المسيحي بل بالعكس أن كلام

السيد المسيح هو " أحبوا أعداءكم باركوا لأعينكم أحسنوا إلى مبغضكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردوكم " وفي الإسلام ولو كانت آية تسمى بأية السيف تأمر بقتال الكفار فأحسن المفسرين لا يطبقونها على غير المسلمين عموماً ولا على المبشرين المسيحيين بل يحسبونها عبارة عن حق الدفاع ضد الذين يهاجمون دين الله فيقفون في سبيله لأنه يوجد في القرآن كلام واضح يقول " لا إكراه في الدين " أو " إليّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون " أو " لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " فالتنافر إذاً لا يأمر به الدين نفسه بل هو من الذين يغارون لأجل الدين بدون تعقل وتروء لم يكتفوا في جدالهم وتبشيرهم بأن يقدموا فضائل دينهم بل طعنوا في دين آخر بتسميته فاسداً وغير معقول إلخ فبقدر ما يجب الإنسان دينه حباً مخلصاً حتى يشاقق على تقديمه للغير سيقدر أيضاً رغبة الآخرين بالتبشير بدينهم الخاص فلم أجد كلاماً بهذا الموضوع أوضح مما كتبه الشيخ رشيد رضا المرحوم في مجلته المنار إذ قال " نحن لا نستتكر أن يحاول المسيحيون تنصير المسلمين ولا أن يروم المسلمون إسلام المسيحيين بالتي هي أحسن إذا استطاعوا إلى ذلك سبيلاً لأننا نعتقد أن النفس البشرية تجد منها لها حائناً ودافعاً إلى إفادة غيرها ما تعتقد صلاحه ونفعه ولذلك لا ننتقم على مسيحي يريد ويسعى في أن يجعل المسلمين نصارى بالطرق التي تقبلها الحكمة والآداب ولكننا نعد اتخاذ المطاعن الدينية وطرق الغش والكذب وسائل لهذه الغاية جريمة لا يغفرها الله ولا يرضى عنها المسيح ولا يقبلها ذو نفس شريفة تكره الكذب والتزوير في المعاملات العادية عموماً والشؤون الدينية خصوصاً".

أما الآن فدعني أترك الكلام العام عن التساهل في التبشير بالدين فالتقدم إلى ما هو موضوعي الخاص أي لما أتبع ديني أنا الخاص دون غيره أي الدين المسيحي وربما سألني أحد هل عرفت كل الأديان فيمكنك التمييز بينها فاختيار أحدهما دون الباقي فأقول كلاً إن أديان الهند والصين واليابان وأفريقيا لم أدرسها درساً وافياً ولكني وجدت في ديني أموراً جذبتني هكذا حتى أنني لا أقدر أن أجرد نفسي عنها فإن كانت تصح هذه الأمور لا يمكن تلك الأديان أن تقدم مصلها أو أحسن منها ثم من جهة ثانية أنا عائش في عالم عربي فيكون عليّ ليس أن أراجع الأديان البعيدة بل أن أنظر على ما حولي من الأديان أي اليهودية والإسلامية ولاسيما هذه الأخيرة إذ هي كالمسيحية ديانة تبشيرية تدعو العالم أجمع على اعتناقها.

أما الكنائس المسيحية المختلفة فلا سأذكرها إذ ذلك ليس من موضوعي نعم أنني لا أعتبرها على حد سواء من الصحة والطهارة في التعبير عن بشارته المسيح وسبب بقائي في الطائفة التي تربيت فيها ليس فقط أنني هكذا وجدت آباتي بل له أسباب أحسن منه ولكن ذلك ليس له أهمية في موضوعنا هذا إذ هو عن الفرق بين الأديان وليس عن الفرق بين الطوائف المسيحية من جهة أخرى فهما يكن من العلاقة بين المسيحية وبين الديانتين الأخريين فلا يجوز القول إنهما مذهبان من المذاهب المسيحية كما قد يقوله البعض عن الإسلام أو كما يخطر على البال إذا سمي المسلمون أنفسهم بالمسيحيين الحقيقيين لاحترامهم السيد المسيح كما هو موصوف في القرآن لكنه من الأصح كما سيظهر فيما بعد أن يسمى الإسلام ديناً جديداً مستقلاً ليس مذهباً مسيحياً.

وقبل تقديمي أي سبب لاعتناقي الدين المسيحي دون غيره يليق وصف هذا الدين الذي أنا منتتم إليه منذ آباتي وأجدادي والذي امتحنته بقيت فيه عن يقين القلب والضمير أو بعبارة أخرى هذا الدين الذي أدركني فحصرني حتى لا أقدر أن أتركه أن الدين المسيحي هو ما بشر به جماع المؤمنين بالمسيح أينما ذهبوا في العالم منذ أيام المسيح على الآن " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح " إننا المسيحيين لا ندعي بأن الاعتقاد بالله واحد قد جاء به أولاً السيد المسيح إذ ذلك الاعتقاد قد كان قبله في الديانة الإسرائيلية وربنا قد وصل إليه أيضاً غيرها من الأديان قبل المسيح فهو اعتقل فكر للباحثين المتدين ولكن مهما وصل إليه دين طبيعي معقول من الاعتقاد بالوحدانية فذلك لا يؤكد ولا يثبت لنا وجود هذا الإله الواحد الذي يفنش عنه العقل فيشتاق إلى معرفته الضمير أن اعتقاد المسيحيين بوحدانية الله له علاقة بالاعتقاد الإسرائيلي لكنه مبني على أساس جديد أن أنبياء شعب إسرائيل قد كانوا أشخاصاً يقدمون ما أوحاه إليهم الإله المجهول من الكلمات والأفكار فكان الله هكذا قد كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ولكن بعد ذلك صار يكلم الناس بصورة جديدة أي بواسطة يسوع الناصري الذي تسمى ابنه ليس لأن المسيحيين تصوروا أن الله تعالى له جسد فيخلف ولداً بالطريقة البشرية حاشا فالله روح لكن تسمى ابنه لأنه بهاء مجده ورسم جوهره ولذلك يجوز القول بأن من رآه قد رأى الأب السماوي وليس المعنى أن الذي قد رأى هيئة المسيح الخارجية قد رأى جوهر الله تعالى وذاته رأى

العين لكن الذي عرف شخصية المسيح ونفسه وحياته يكون قد رأى ما يمكن الإنسان رؤياه منه تعالى في هذه الدنيا لأن الله ساكن في نور لا يُدني منه فلم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه إلا السيد المسيح الذي قيل عنه " الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الأب هو خبّر " فتلاميذه قد وصلوا إلى اعتباره إعلاناً نهائياً له تعالى وربما كانوا في بادئ الأمر يحسبونه نبياً فقط لكنهم بمعاشرتهم إياه ازدادوا إيماناً به فاعتبار له وأخيراً بعد ما رآه قد مات على خشبة الصليب فحزنوا وخافوا من فقدان إيمانهم به قدر رآه حياً أيضاً يكلمهم فيعلمهم أن المسيح ينبغي أن يتألم فيقوم من الأموات في اليوم الثالث وأن يركز باسمه التوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم فهكذا تجد إيمانهم به بل ازداد زيادة عظيمة إذ فهموا أنه فوق درجة الأنبياء فعبروا عن إيمانهم بتسميته ابن الله كما قيل عنه " الذي صار من نسل داوود من جهة الجسد وتعين ابن الله قوة من جهة روح القدس بالقيامة من الأموات " أو بتسميته الوسيط الوحيد بين الله و الناس أو الذي دفع إليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض فتجاسروا أن يتقوا بأمره القائل بأن يذهبوا على العالم أجمع فيتلذذوا جميع الأمم فهو يكون معهم كل الأيام إلى انقضاء الدهر.

قد ذكرت آنفاً الدين المسيحي كإشارة الجماعة المسيحية للعالم أجمع وليس كمحتويات الكتاب المقدس أو العهد الجديد (وهو عبارة عن كتاب المسيحيين الذي يسمّى أحياناً الإنجيل مع أن هذه الكلمة اليونانية تعني أصلاً البشارة ولا الكتاب) أن البحث التاريخي قد عرفنا أن كتاب المسيحيين مجموع أسفار قد كتبت كلها بعد السيد المسيح بمدة من الزمن هي غالباً بني 30 و 60 سنة وقبل أن انتشرت كل هذه الأسفار بين جميع الكنائس فقبلت فيها بأسرها يكون قد مضى القرن الأول كله وجزء من القرن الثاني ولكن البحث التاريخي عرفنا أيضاً بان المسيحيين في كل هذه المدة كانوا يؤمنون ببشارة المسيح فيكرزون بها وهي أن الإله المجهول قد أعلن نفسه بطريقة وحيدة بيسوع الناصري أي بتعاليمه وحياته وموته وقيامته حتى أن الذين يقبلون البشارة يكونون أولاد الله رغمًا عن خطاياهم فضعفهم مخلصين بالرجاء لكي يتحولوا عند ظهور المسيح الثاني إلى صورة مجده فيكونوا مثله أما في هذه الحياة الدنيا فلا يمتازون عن بقية الناس في الأمور الخارجية الظاهرة إذ هم كالجميع تحت الآلام وضغط الخطية والموت وقد لا يمتازون عن غيرهم في الفضائل والصلاح لكنهم في إيمانهم حاصلون على مغفرة الله وعلى طلبه أيضاً وذلك الطلب يمكن التعبير عنه بجملة واحدة أن تحب قريبك كنفسك لأن كل الوصايا مجموعة في هذه الكلمة أن تحب قريبك فالمحبة هي تكميل الناموس وكل تكميل وصية أو ناموس ليس فيه محبة هو بدون قيمة عند الله فإذا كان هذا أصل الدين المسيحي ومعناه يظهر أن أساسه ليس الكتاب وتفسيره بل الإيمان الذي نشأ الكتاب عنه فكتب بمطابقته.

فإذا سئلت الآن لماذا تتمسك بدين كهذا فلم تتركه مع أنه كثيراً ما انتقد من قبل أديان أخرى ومن قبل العلم واللاذينية فأقول كما يأتي مع أن المنتقدين لا يقبلون جوابي بل قد يسمونه مجرداً عن البرهان والمنطق نعم جوابي ليس بكلام المنطق أو الدليل العلمي لأنني اقتنعت بضميري الشخصي أنه تعالى قد كلمني بواسطة هذا الدين فلا أقدر أن أتركه أو إن غلبني به حتى أبقى له عبداً ولا أعني بذلك تسليماً أعمى (هكذا وجدت آبائي) بل لم أكن دائماً خاضعاً بل كنت مدة من الزمان أشك بصحة هذا الدين فأتردد محتاراً حتى رجعت إليه فقبلته بقلبي وضميري فلا أقدر أن أثبت لغيري صحة ديني فأقنعه بقبوله كما يمكنني إقناعه بحقيقة علمية حسابية مثلاً ولست حزيناً لذلك لأنه كما أظن ليس لصالح الدين أن يثبت بدلائل العلم والمنطق فيكون حينئذ للأمر الإلهية موقف عسر نعم أنه قد يجوز الإتيان بحقائق من الميدان العلمي تفتح مجالاً للإيمان بوجود خالق لكن دليلاً قاطعاً بوجوده لم يؤت به إلى الآن ولن يمكن الإتيان به في هذا العالم لأن المطلق الغير نسبي ليس له مكان في سلسلة الحوادث من العلة والمعلول بل يمكنك العلم دائماً الإتيان بوقائع تعارض الاعتقاد بوجود إله قادر صالح فإن قال المتدين إن العقل البشري لا بد له من الاعتقاد بوجود إله خالق كالعلة الأولى الأصلية لسلسلة الحوادث سيقول العلم حالاً بحسب طبيعته أما تلك العلة الأولى من أين جاءت؟ وما هي علتها؟ إن الإيمان الديني يمكن وقوفه عند فرض الخالق كالعلة الأولى أما العلم فلا يمكنه ذلك وإذا ذكرت ترتيب الكون المنظم وجماله كدليل على وجود خالق حكيم صالح ذكر الانتقاد العلمي قبائح العالم والطبيعة يتعذر مع وجودها الاقتناع العلمي المنطقي باتحاد الصلاح والقدرة في الله فلا يمكن مجرد العقل البشري أن ينظر على هذا العالم كأحسن عالم يمكن تصوره أن للعلم أواراً يهجم فيها على الدين هجومات عنيفة وأدواراً يحف فيها حدة انتقاده وقد يكون عصرنا اليوم من هذا النوع الأخير بعد ما كان العلم مدة من الزمان مفتخراً جداً فمستخفاً بالدين لأن الاكتشافات الحديثة في عالم

الطبيعة عن حقيقة تركيب أصغر أجزاء المادة وعن النظام النسبي إلخ أن كل ذلك قد غير كثيراً من نظريات العلم فاضعف إتكال العلم على صحة ناموس العلة والمعلول في كل الأمور فيتسع بذلك المجال لتفسير ديني للكون مع أن العلم نفسه لا يمكنه بحسب مبادئه الاستناد عليه فلا يجوز أن يطلب العلم أي برهان منطقي للدين ولا يقبل العلم من الدين تقديم برهان علمي فمن الخطر على الدين إذا التجأ إلى العقل أو العلم لأجل السند والدليل.

وإذا كان أحياناً الخصام بين العلم والدين شديداً إلى الغاية فليس كل الحق دائماً على العلم وهو يتجاوز حدوده متدخلاً إلى ميدان الدين بل قد يكون بعض اللوم على الدين إذا تجاوز هو بدوره حدوده فمنع العلم من ممارسة عمله في بعض الشؤون مثلاً طلب الدين من العلم أن لا يبحث في كنيته المقدسة موحى بها من قبل الله فهي إذن معصومة عن كل خطأ في كل مواضعه فانا لا أسلم هنا للدين بل للعلم قائلاً أن كتابي المقدس ليس لي كتاباً منزلاً معصوماً عن الصفات البشرية وبينها عدم الكمال حتى أنه يكون من الممنوع للبحث العلمي أن يعالجه فيحكم في تاريخ صيرورته إلخ بل هو لي تدوين ما كان يبشر به الرسل في زمن الكنيسة الأولى عن نعمة الله بالمسيح ويسوع أما من جهة تكوينه فتدوينه فأراه عن مواضيع علمية تاريخية محض لا مانع من بحث العلماء المؤرخين وحكمهم فيها فإذا كان الرسل في تعليمهم قد أدخلوا أموراً مختصة بدوائر العلم فعلى جماعة المسيحيين أن يرجعوا عنه إذا وجدت الأبحاث فيها خطأ أما البشارة نفسها بإعلان الله في المسيح فليس للعلم دخل فيها حتى ولا في معجزات المسيح التي بالظاهر مخالفة لنواميس الكون ولاسيما أعظمها أي قيامته من بين الأموات أن العلم لا يقدر أن يثبتها كحقيقة علمية لأنها تخالف كل ما أخبره العلم عن الموت والحياة أنه لا يخفاني أن بعض العلماء أنكروها إنكاراً باتاً أو فسروها تفسيراً طبيعياً (مثلاً أنه لم يمت أبداً فما أشبه ذلك) لكن عند إصرار الإيمان على حقيقة القيامة كعمل إلهي لا يقدر العلم الصحيح أن يقول إلا أنه لا يمكنني الحكم في ذلك لأنه ليس من دائرتي إذ مهمتي أن أحلل حوادث الطبيعة والتاريخ فاصفها أما هذه الحادثة إذا حدثت فهي وحيدة في جنسها فلا تحليل ولا تصفيف لها من قبل العلم.

وهنا لابد من سؤال اعتراضى ليس من قبل العلماء اللادينيين بل من قبل المتدينين الذين يريدون الإنفاق التام بين الدين والعلم أي يريدون ديناً طبيعياً معقولاً والسؤال هو لماذا لا نسقط من ديننا المسيحي كل ما يخالف العقل والعلم فنكتفي بما يقبله العقل السليم فترضى بذلك العلم وربما تابعي أديان أخرى فنكتفي مثلاً بما يسمى الصلاة الربانية (أبانا الذي في السموات إلخ) أو بما يسمى الموعظة على الجبل (إنجيل متى 5-7)؟ فلا يخفى أن بعض عظماء المفكرين المسيحيين كتلستوى هم من هذا النوع.

فأجيب أولاً أنني أحبذ حرية كاملة للجميع حتى يعتقدوا كما يريدون فيعبدوا الله كما يستحسنونه فلا يجوز أي ضغط على هذه الحرية بأسباب دينية لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه أما ما تريد الدول أن تضعه من الضغط على الحرية الدينية فذلك ليس لأسباب دينية بل لأجل الأمن العام أو لأسباب سياسية فإذا احتلمت المسيحية في أيامنا في بعض الممالك اضطهاداً من قبل الحكومة حتى أن دائرتها تضيق فليس ذلك حجة على الدين وصحته وكثيراً ما صار في التاريخ أدوار كهذه فتبعها فيما بعد نهضة جديدة حتى أن طريق تطور الدين المسيحي يشبه حركة أمواج البحر أي ليس بخط مستقيم وعلى كل حال مهما صار على الدين المسيحي من اضطهاد وضغط فلا غرابة في ذلك للمؤمن إذا أن السيد المسيح نفسه كان يحتمل مثل ذلك فعلم تلاميذه أيضاً أن طريقهم لا سيخلو عن ذلك بل قد يؤدي بهم إلى الاستشهاد كما احتمل هو أيضاً حتى الموت بل موت الصليب ولذلك رفعه الله فأعطاه اسماً فوق كل اسم ومهما صار من الضغط على الحرية فالمؤمن عليه دائماً أن يطلب الحرية لنفسه وأكثر من ذلك لأجل غيره واهم من ذلك أيضاً أن يقدم الحرية للجميع عندما يكون ذا سلطان وهنا لا بد من الأفراد بأن الكنيسة كانت تخطيء كثيراً بأن تستعمل سلطتها أو سلطة الدولة المقترنة بها لأجل اضطهاد مخالفيها في الاعتقاد فأقول مرة أخرى كمبدأى لا شيء من الضغط الديني على حرية الناس مهما خالفوني في العقيدة ثم من جهة ثانية أيضاً لا شيء من الضغط على حريتي بتسميتي تلك الآراء مخالفة لما كان المسيحيون الأولون يحسبونه من التعليم الصحيح.

فإذا صادفت إنساناً أفكاره عن المسيحية أنها مشمولة كلها في الصلاة الربانية أو في الموعظة على الجبل سأقول له أنه يخالف قانون الإيمان الأصلي وما تدون في سفر أعمال الرسل وفي رسائلهم عن الإيمان وأن إيمانه ناقص

ولكني لا انكر أن إيماناً كهذا كثيراً ما يفيد الإنسان في أول الأمر كما أن السيد المسيح نفسه لم يعلم تلاميذه كل الحقائق في البدء فبالعكس كان يأتي بهم تدريجاً إلى كل الحق حتى أنه في الليلة الأخيرة لم يزل يقول " أن لي أموراً كثيرة أيضاً لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن أما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية ذلك يمجديني لأنه يأخذ مما يلي ويخبركم " فكما أن المسيح نفسه لم يأت بقانون كامل الطلب من تلاميذه قبله حالاً هكذا يجب علينا أن لا نقدم كمال الإيمان للناس كطلب يجب قبوله في بدء الأمر بلا كباشرة تقدم للإنسان ليقبلها فيسعى حين الحاجة إليها ولا فضل ولا فائدة لشخص من قوله " أو من الإيمان الكامل " إذا كان ذلك إيمان لسانه أو عقله فقط دون إيمان قلبه وضميره.

أما سبب قبولي أنا كامل الإيمان المسيحي دون جزء منه فقط هو أنني صرت أنظر إلى نفسي كخاطئ مذنب أمام الله ليس لي أي حق لمعرفته أو لقبوله أي شيء لأنني عضو جنس بشري ساقط أنني لم أقدر أن أقول هكذا دائماً فبالعكس كنت في حدائتي أميل إلى فهم المسيحية بحسب أفكار تلوستوى المذكورة حتى أن المسيح كان لي المثل الأعلى لا غير فلم أفكر كثيراً بسقوط البشر وعصيانهم وهلاكهم بل بما سميتهم حقوقهم الإنسانية ولم أدرك حينئذ كلام الفيلسوف المسيحي القائل بصحة الاعتقاد " أننا أمامه تعالى دائماً عديمو الحق " أما اختبارات حياتي فجعلتني أغير نظري في البشر عموماً وفي نفسي خصوصاً فعرفت أن خطيئي الفاصلة بيني وبينه تعالى ليست عدداً من الأعمال المنفردة كبيرة كانت أم صغيرة لكنها حالة نفسي وإرادتي إذ هي من الأصل مخالفة لإرادته تعالى فتطلب دائماً ما لنفسها بينما طلب الله للإنسان هو أن يحب قريبه بنفسه فقد قوى نظري هذا كلما أمعنت النظر في حياة المسيح وتعاليمه فصار لي أكثر من المثل الأعلى أي قد صار لي الديان والمخلص فالذي لم انتبه إليه كثيراً في الأول أي موته لأجل البشر قد صار لي الآن نقطة الدائرة وهو كلام المسيحيين الأولين أن ذلك طريق الله الوحيد لخلص الجنس البشري من سلطة الخطية والشريعة إذ أن مجرد التعاليم والإنذارات لم يكف أمام الأم الصلب والموت التي يحسبها الإنسان الغير المؤمن بها عاراً غير لائق لمسيح الله فقد صار المؤمن يحسبها ضحية من قبل الله ليرى الناس أهمية الخطية وتكليف الخلاص فيدان الإنسان به كخاطئ مستحق الهلاك وفي ذات الوقت تقيمه تلك المحبة الغفارة فتزد له منزلة أي منزلة أولاد الله المقبولين المحبوبين.

فأردت أن أضع هنا كلام لوثيروس المصلح الشهير عن معنى إيمانه بالمسيح " إنني أو من بأن يسوع المسيح هو سيدي الذي عتقني وفداني من جميع الخطايا وقوة الموت والشيطان أنا الإنسان الضال والهالك المستحق الدينونة وذلك ليس بذهب ولا بفضة لكن بدمه الطاهر الثمين وآلامه وموته مع أنه كان برياً لكي أكون خاصته وأمكت وأعيش معه في ملوكته وأخدمه في البر الأبدي والطهارة والسعادة فهذا هو الحق اليقين " .

أما الذي لم يقبل ذلك فيظهر هذا جهالة وهكذا كان منذ بدء التبشير به كما قد عبر عنها بولس الرسول مثلاً قائلاً لكننا نحن نركز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرةً ولليونانيين جهالةً ولكن ليس الصلب وحده سبب العثرة بل في حياة السيد المسيح على الأرض كان كثير من اليهود المتدينين يعثرون منه إذ كان يعلمهم أن الخطاة يتقدمونهم بالدخول إلى ملكوت الله قائلاً أنا جنئت كطبيب وأنت لا تشعر بمرض أو ضعف أنا جنئت لأدعو خطاة ليس أبراراً على التوبة فالذي يعثر بالصلب لا بد من عثره أيضاً بكثير من كلام المسيح أيضاً بكثير من كلام المسيح إذا راجعه بالتدقيق فكما كان في أيام السيد المسيح على الأرض أنه لم يقدر أن يقتنع كل الناس بكلامه فيأتي بهم إلى التوبة والإيمان به هكذا اليوم أيضاً بوجود الناس يظهر أنهم لا يقدرين أو لا يريدون أن يقبلوا بشارته كهذه وأظن أنه سيكون دائماً أناس من هذا النوع حتى انقضاء الدهر لكنه سيكون أيضاً لا شك أناس عندما يسمعون هذه البشارة عن خلاص الله لجنس هالك سيصغون إليه فيقبلونه بالفرح والشكر فإذا وصل الشخص إلى هذا الإيمان سيطلب دائماً منه تعالى أن يثبت فيه لأنه لا يقدر أن يصور لنفسه نعمة أعظم منها أو بشارته تعوض عنها.

ولا شك إذا راجعنا سفر أعمال الرسل أن هذا هو الإيمان الذي كان يعتقد به الرسل فيبشرون به بعد صعود المسيح وإذا راجعنا رسائلهم نرى مرة بعد مرة أن هذا الإيمان هو جوهر الرسالة ليس عند بولس الرسول فقط كما يقول البعض مدعين بأنه حرف البشارة تحريفاً عما كانت قبلاً لا بل نرى في رسالة بطرس مثلاً ذات الإيمان مثلاً " تبارك الله أبو ربنا يسوع الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح

من الأموات " أو " هو الذي حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن خطايا فتحيا للبر " ولكن بولس الرسول هو الذي فسّر هذه الأمور تفسيراً أوضح من غيره ولاسيما في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ص 15 حيث يشير أولاً إلى شهادات كثيرة عن قيامة المسيح (ليست براهين ودلائل علمية بل شهادات الشهود الأولين الذين رأوا السيد المسيح بعد قيامته مدة 40 يوماً) ثم يشير إلى معنى القيامة فأهميتها مثلاً " إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم أنتم بعد في خطاياكم "

إن في كلام الاصحاح إنذاراً لمن يؤسس إيمانه المسيحي على أسس غير ثابتة مثلاً آمنت خوفاً من النار أو رجاء في الجنة أو لأجل التقدم والنجاح في العام ببركة الله أو آمنت بالمسيحية لأنها أعظم ديانة وأقواها نعم إن الإنسان من طبيعته يحب أ، يكون من المنتصرين ويصعب عليه أن يكون من الضعفاء المتقهقرين لكن الذي أدركه الله بالمسيح حتى صار يؤمن به لا يجوز له أن يسأل عن أيام يسر لأنه يعرف أولاً أن سيده لم يكون له هكذا في حياته في العالم وثانياً أنه وعد تلاميذه أن يكون لهم في العالم ضيق أيضاً وثالثاً أن اليسر والعسر ليس لهما أهمية فإذا كان الله قد كلم الإنسان لا بد من إطاعته وإتباع كلامه حتى إلى الاستشهاد إن اقتضى الأمر.

أما موقفي تجاه الكتب اليهود المقدسة أي كتب العهد القديم فهو احترامها لأنه فيها كلام الإله الحي لبني إسرائيل بواسطة الأنبياء ولأن يسوع الناصري هو تكميل ذلك الناموس بل ذلك العهد كما قال بنفسه " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل " أو ما قيل في وسط العقد القديم نفسه عن التكميل المزمع أن يأتي " ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع آباءهم يوم أمستكم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي اقطعته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً لأنني أصفح عن أثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد " وسبباً احترام لتلك الكتب هو أيضاً أن السيد المسيح نفسه كان يستعملها لكني بعد إيماني به كالمسيح الموعود به لا أقدر أن أنظر إليها نظر اليهود إليها لكني أقول مع بولس الرسول الذي كان نفسه يهودياً أنه يوجد برقع على عيونهم عند قراءة العهد العتيق غير منكشف ولا يبطل إلا في المسيح فلولا هذا البرقع لرأوا هم أيضاً أن يسوع الناصري هو تكميل الناموس فمؤسس عهد جديد فاعتراض اليهود اليوم على الإيمان المسيحي لا أظنه مختلفاً عن اعتراضهم على المسيح نفسه في ذلك الوقت أو على رسله فيما بعد فجوابنا إذاً هو أن العهد القديم يشير إلى عهد أكمل فنحن نرى أن هذا العهد الجديد قد جاء بمجيء يسوع الناصري.

أما اعتراض الإسلام فله غير وجه إذ أن الإسلام قام بعد المسيحية وليس مجرداً عنه بل باحترام عظيم لشخصية المسيح كما هو موصوف في القرآن لكن الإسلام رفض ما يحسبه المسيحيون جوهر دينهم أي موت المسيح على الصليب وقيامته من بين الأموات نعم يوجد أيضاً أمور أخرى تمنع المسيحي عن الاعتراف بالإسلام كتكميل الديانة المسيحية ولكن هذا الأمر المذكور وحده كاف للمسيحي المؤمن به لأن يرفض قبول الإسلام كدينه لكن بالعكس يدفعه هذا لتبشير المسلمين بتلك البشارة.

إن موضوع تبشير المسيحي للمسلمين قد بحثنا فيه في أول هذا الكلام فلا نطيله هنا أن السكوت لا يمكن للمسيحي حتى أنه يترك كل إنسان في دينه دون تبشير ولكن ذلك لا يعني التعصب الأعمى فلا تحبذ شيئاً من استعمال القوة أو الحيلة بل أن تقدم فقط للآخرين ما عندها نم قيمة أما التعصب الأعمى فهو يريد استعمال كل واسطة لإسقاط خصمه فكل تبشير عن دوافع ونيات دنيئة أي عن محبة الذات يجب رفضه مهما كان مصدرته أما التبشير عن دافع محبة القريب فهو ممدوح مهما كان مصدره قد تبقى العلاقة بين المسيحية والإسلام علاقة منافسة إذ يستحيل اتحاد الدينين لكن بجانب هذه المنافسة يجب الأخوة أيضاً لماذا على أحدهما أن يمنع تابعيه عن الانضمام إلى الآخر إذا كان باقتناع؟ لوما لا يتعلم أحدهما الآخر؟ ولماذا بعد التعارف لا يتسابقان بخدمة الإنسانية المحتاجة على كل خدمة ممكنة وعلى كل لماذا لا يتعارفان فيتقربان بحسب الإمكان؟.

وربما كان اليوم سؤال أهم من السؤال عن انتقال من دين إلى آخر وهو سؤال لاسيما من الشبان " لماذا ليس ترك كل دين من الأديان فإتباع اللادينية " إننا نسمع من أماكن كثيرة في العالم عن خسران الدين مركزه القديم فتبديله بوثنية عصرية أو مادية وربما قد تسرب هذا الداء إلى وسط صفوفنا فترك كثير من الشبان الإيمان الديني

ولو بقوا لبعض أسباب متمسكين باسم الدين ولا أعني هنا ترك الدين لدواع علمية حقيقية لأن السبب الحقيقي هنا ليس التحيز بسبب العلم ولكن كسل روحي أو عدم إدراك أي معنى للدين أن سبب الضمير ليس دائماً ما يقوله اللسان بل كثيراً ما تكون أسباب اللسان اشرف من الأسباب الحقيقية الباطنة فقد يقول اللسان أن الكتاب المقدس لا يمكن الاتكال عليه بينما الضمير يعترف بأن إنذار الكتاب غير محتمل بسبب توبيخه فساد النفس وقد يشير اللسان إلى عيوب المؤمنين وخطاياهم كسبب للنفور عن الدين عموماً بينما يقر القلب بعدم الاهتمام بجوهر الدين فماذا نقول إذا رأينا كثيرين يتركون الدين لأنهم لا يشعرون بحاجة إليه ولأن التيار اليوم يجري هكذا؟ إن الذي أدركه كلام الله لا يريد أن يجاري التيار نعم أن كثيرين من المؤمنين دينهم طاهر اسم بلا مسمى ويقر. ويقر أيضاً بكل تواضع أن حياته الخاصة بعيدة عن الكمال المطلوب لكن مع ذلك لا يقدر أن يترك إيمانه بل بالعكس يتمسك به بشدة زائدة لأنه لو تكره لما رأى في العالم من خلاص أو مساعدة فلذلك يستمر إيمانه وبتقديمه للناس عموماً مهم أكان جنسهم ودينهم قد يكون أمامه مشاكل كثير لا يقدر أن يجيب عليها فيفسرها أما لأنه بنفسه عاجز أو لأن جوابها مستحيل اليوم حتى بخصوص كتابه المقدس يجوز سؤالات لا يعرف أن يجيب عليها كما يجب لكنه كل ذلك لا يبعده عن إيمانه لأنه قد فهم أن تلك المشاكل ليست من جوهر الدين فيجوز ترك جوابها أو الاختلاف فيه بين المسيحيين إذا كانوا متفقين على مركز المسيح كالوسيط الوحيدة بين الله والناس.

وإذا سأل المؤمن نفسه لماذا يؤمن بعض الناس والبعض الآخر لا يؤمن مع أنهم بالظاهر من أصل واحد بل ربما من عائلة واحدة فكثيراً ما لا يقدر أن يجيب بل يبقى هنا سر غامض ولكنه لا بأس لذلك فيترك تبشيره بالإنجيل لأنه يعرف أن مهمته ليست خلق الإيمان في الناس بل تقديم البشارة لهم حتى يمكن فيما بعد روح الله أن يعمل بوساطتها كيفما يريد وأينما يريد وليس على الرسول وعلى المبشر إلا البلاغ ولكن ذلك عليه في كل حين لاسيما إذا سئل عن سبب الرجاء الذي فيه وعليه الجواب أيضاً إذا سأله الله تعالى عن إيمانه كما سأل مرة السيد المسيح تلاميذه المقربين بعد ما غضب منه كثير من التلاميذ فتركوه " أعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا " فأجابه أحدهم " يارب إلى من نذهب وكلام الحياة الأبدية عندك " فليبارك الله علينا حتى وقت السؤال نقدر أن نجيب مثله فذلك لي أهم سبب لإتباع المسيح دون غيره " عنده كلام الحياة الأبدية " .